(٤٤)

الذين بدلوا نعمة الله كفرًا!

﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [سورة إبراهيم الآيات من ٢٨ - ٣٠].

﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ ﴾ [سورة البقرة الآية ٢٢٩].

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ ﴾ [سورة النساء الآية ٥٧].

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [سورة النساء الآية ٩٣].

* * *

«المدينـــة، تتجمع ســحب وغيـوم المتآمرين على الإســلام.. لا تزال قريش تقود حملة النكير والتدبير لضرب الإســلام والمسلمين.. لم يردعهم مــا حدث لهـم بأمــس!! قد قطـع الله دابرهم يوم بدر، وانهزموا هزيمــة منكرة.. هؤلاء الذين أنعم الله عليهم بهدى الإســلام، فكذبوا بنعمته وأشاحوا وأعرضوا وجعلوا لله أندادًا، وبدلوا نعمة الله كفرًا!!!».

«النبى - ﷺ - فى تعبده وتهجده ومناجاتـه ربـه، يتنزل عليه الروح الأمين..».

جبريل : (يتلو على محمــد) ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [سـورة إبراهيـم الآيات من ٢٨ - ٣٠].

(يرتفع الوحى)

* * *

«المدينة، تتحدث نســاء المسلمين بما يتعنت به بعض الأزواج.. يتباهى بأنه يستطيع أن يطلق زوجته ما شاء له أن يطلقها بلا وازع ولا قيـد.. لا عليــه فيما يظن إلا أن يراجع زوجته قبل أن تنقضى عدتها.. كان العمل على أن الرجل أحق برجعتها وإن طلقهــا ثلاثًا.. أخذ من أخذ هذه

الرخصة على أنها تبيح التعسف والإعنات..
رجل من الأنصار يغضب على امرأته فيقول لها: «والله لا آويك ولا أفارقك.. تسأله: وكيف ذلك؟.. يقول لها: «أطلقك، فإذا دنا أجلك راجعتك ثم أطلقك، فإذا دنا أجلك راجعتك!!! تذهب الزوجة إلى السيدة عائشة شاكية راجية أن تنقل شكايتها إلى الرحمة المهداة عليه الصلاة والسلام.. تروى للسيدة عائشة أن زوجها يقول لها: والله لا أطلقك حتى تبينى منى، ولا آويك إلىّ».. فلما تسأله: وكيف ذاك؟! يقول لها متباهيًا: أطلقك، وكلما قاربت عدتك أن تنقضى راجعتك.. ثم أطلقك.. وأفعل ذلك»!!! تبث السيدة عائشة إلى النبى المصطفى شكوى السيدة وشكوى بعض نساء المسلمين، فلا يسارع عليه السلام بجواب..».

* * *

«النبى - ﷺ - خارج من بيته إلى صلاة الصبح بالمسجد النبوى.. يلمح امرأة تقف عند بابه فى هذا الغلس (ظلمة آخر الليل).. يلتفت عليه السلام إلى من بقربه من المسلمين..»؟

النبى : (متسائلاً) من هذه؟!

المرأة : (منبرية) أنا امرأة ثابت بن قيس بن شماس يا رسول الله.

النبى : (مترفقًا) وما شأنك؟

المرأة : جئت أشكو ما أعانيه من زوجى!

أحد المسلمين : (متداخلاً) وأبواك؟!

المرأة : شـكوت إليه أن زوجى يسب أبى ويضربنى، فما فعل إلا أن قال لى ارجعى إلى زوجك فإنى أكره للمرأة ألا تزال رافعة يديها تشكو زوجها.. (بعد برهة) رجعت فضربنى فعدت إلى أبى وبى أثر الضرب، فما قال لى إلا ارجعى إلى زوجك!!.. قد جئت رسول الله ينصفنى بعد أن خذلنى أبى!!

«النبـى - ﷺ - يلتفت إلى الصحابة، فيومئ إليهم أن يرسلوا فى طلب ثابت بن قيس..».

* * *

«المسجد النبوى.. بعد الصلاة، النبى - ﷺ - وقـد جلس إليـه ثابت بن قيـس بن شماس.. وامرأته ترقب ليس ببعيد..».

النبى : (لثابت بن قيس) ما لك ولأهلك؟!

ثابت بن قيس : والذى بعثك بالحق يا رسـول الله، ما على وجه الأرض أحب إلىّ منها غيرك!

النبى : (مناديًا زوجة ثابت) فما تقولين فى ذلك؟

المرأة : صـدق يا رسـول الله.. (مسـتدركة) ولكنى خشـيت أن يهلكنى، وما كنت لأحدثك حديثًا ينزل الله عليك خلافه.. فهو من أشد الناس حبًا لزوجته، ولكنى أبغضه!!!

النبى : (ينظر إليها دهشًا متسائلاً..)

المرأة : (مفسرة فى حياء) يا رسول الله، لا يجمع رأسى ورأسه شىء أبدًا! إنى رفعت جانب الخباء، فرأيته أقبل فى عِدَّة، فإذا هو أشدهم سوادًا، وأقصرهم قامة، وأقبحهم وجها.. يا رسول الله، لولا مخافة الله.. إننى لا أطيقه بغضًا.. (تغالبها عبراتها!!).

ثابت : (للنبى) يا رسول الله، إنى أعطيتها أفضل مالى! حديقة، فإن ردت علىّ حديقتـــى!.. أعطيتها حديقة نخل فلتردها علىّ وأخلى سبيلها..

النبى : (للزوجة) فما تقولين؟ تردين عليه حديقته وتملكين أمرك؟

المرأة : نعم يا رسول الله، وإن شاء زدته..

النبى : (لثابت) خذ منها ما أعطيتها وخل سبيلها..

ثابت : أفعل إن شاء الله..

* * *

«النبـــى - ﷺ - فى خلوتـــه يتحنث ويتعبد ويناجى ربـــه، يتنزل عليه الروح الأمين فيوحى إليه من كلمات ربه».

جبريل : (يتلـــو علـــى محمـــد) ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ ﴾ [سورة البقرة الآية ٢٢٩].

(يســـتأنف) ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ ﴾ [سورة البقرة الآية ٢٣٠].

(يرتفع الوحى)

* * *

«مكة، بصحـــن الكعبة – وقد عاود كعب بن الأشـــرف النزول بها قادمًا مع حُيى بن أخطب وبعـــض يهـــود المدينة لتحريض المشـــركين من قريش على الإســـلام ودفعهـم لتجييش الجيوش على النبى – ﷺ – والترتيب لغزوه والمســـلمين بالمدينة!!».

قرشى : (متظننًا) إننا أهـل كتاب، وإن محمدًا صاحب كتاب!!.. ولا نأمن أن يكون هذا مكرًا منكم!!

قرشى ثان : إن أردت أن نخرج معك، فاسجد لهذين الصنمين (يشير إلى صنمين بالكعبة) وآمن بهما حتى نأمن لك!

«يتخابث كعـــب فيبدى الموافقـــة، ويصطنع السجود للصنمين!! ثم يلتفت إلى قريش».

كعب بن الأشرف : فليجـــئ منكم ثلاثون ومنا ثلاثـــون فنضع أكبادنا بالكعبة ونعاهد رب هذا البيت لنجهدن على فعال محمد..

أبو سفيان : (لكعـــب) إنك امرؤ تقرأ الكتـــاب وتعلـم، ونحـن أميون لا نعلـــم! هـــلا قلت لنا أينا أهدى ســـبيلاً وأقرب إلى الحق الصريح.. نحن أم محمد؟!

كعب : (مراوغًا) اعرضوا علىّ دينكم!

أبو سفيان : نحن ننحر للحجيج الكوما (الناقة عالية السنام) ونسقيهم الماء، ونقرى الضيف، ونفك العانى (الأســـير)، ونعمر بيت ربنـــا، ونطوف به، ونحن جميعًا أهـــل الحرم.. نحن أهل الحجيج وأهل الســـدانة، وأهل السقاية، ومحمد فارق دين آبائه، وقطع الرحم.. ودیننا القديم ودين محمـد الحديث..

كعب : (مداهنًا) أنتم أهدى ســـبيلاً مما هو عليه ودينكم خير من دينه!!! فاثبتوا عليه!

«يظهـر الارتياح على كفـار قريش.. يمضون باليهـود إلى دار النـدوة ليدبروا معهـم ماذا هم صانعون؟!!».

* * *

«حصـون اليهود بالمدينة.. كبـار بنى النضير وأحبار اليهود يجلسـون مع كعب بن الأشرف، حيى بن أخطب، وسلام بن أبى الحقيق أبو رافع، والربيع بن الربيع بن أبى الحقيق.. يتنادمون فيما جرى من ومع يهود بنـى قينقاع.. يتذاكرون فى رضا الغارة التى شنها أبو سفيان على تخوم المدينة وتحريقه صغار النخيل وقتله أحد الأنصار وحليفًا له، وفراره ومن معه من قريش قبل أن يلحق بهم المسـلمون.. يسـتعرضون الزيارة الأخيرة التى قام بها كعب ورفاقه إلى مشركى قريش بمكة، وكيف حضوا قريشًا على تجييش الجيوش على النبى - ﷺ - يتباهـى كعب بما خادع به قريشًـا ليأمنوا له.. يقول لرفاقه من يهود فى خبث ودهاء: ماذا كنتـم تنتظرون منى أن أقول لهم.. لم يكن أمامى إلاَّ أن أجاريهـم وأظهر التوقـير لأصنامهم وأزعم لهـم أن دينهم أهدى من دين محمـد.. يباركون بالسـرور والغبطة ما أنجزوه، وينتظرون ما سوف تأتى بـه الأيام التى يريدون أن تـزول بها دولة الإسلام والمسلمين..».

* * *

«النبى – ﷺ – فى تعبده وتهجده ومناجاته ربه.. يتنزل عليه الروح الأمين..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۖ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ ﴾ [سورة النساء الآيات من ٥١ – ٥٧].

(يرتفع الوحى)

* * *

«بعض المسلمين فى جولة استطلاعية حول تخوم المدينة يحتاطون بهذا الرصد من العشائر المتربصة بهم المتقوية عليهم بمشركى قريش ومن جاراها من قبائل شبه الجزيرة العربية!! فى ضربهم فى الصحراء وما حولهم يترصدون غارات

الأعـراب الذين تجرأوا بعد غارة أبى سـفيان..
يمـر بهم رجل من بنى سـليم فى بعض غنمه..
ينظر الرجـل إليهم فى قلق وتوجس، ويبادرهـم
بالسـلام.. بيـد أنهـم لا يطمئنـون إليـه،
ولا لسـلامه - يقـول بعضهم لبعض: «ما سـلم
عليكم إلا ليتعوذ منكم»!.. تسـرى المظنة فيهم،
فيبـادر بعضهم إلى الرجل، فيجهز عليه.. يطير
الخـبر إلى المدينة، فما يدرى المسـلمون إلا وقد
غضب النبى ﷺ لما فعله هؤلاء غضبا شديدًا..
ينتظرون فى ترقب ماذا سوف يكون!!».

* * *

«بعثة أخرى تضرب فى الصحراء حول المدينة
للاستطلاع يعترضها بعض المشركين فيكون بينهم
نـزال ينهزم المشـركون فيه.. يشـذ أحدهم فارًّا
فيتبعه أحد المسلمين بالسنان..».

الرجل الشارد : (مبادرًا وقد هاله السنان!) إنى مسلم.. إنى مسلم!!
«لا يصدقه المسلم، فيعلوه بسيفه!»

* * *

«المسـجد النبوى، الرجل المسلم يقف مبهوتًا
مصدومًـا أمـام النبى - ﷺ - وقـد تغير وجهه
الكريم من شدة الغضب!!».

النبى : (للرجل مؤنبًا) بعد ما زعم أنه مسلم؟

الرجل : يا رسول الله إنما قالها متعوذًا!

النبى : (غاضبًا) فهلا شققت عن قلبه؟!

الرجل : (وقد تملكته الحيرة) لم يا رسول الله؟

النبى : لتنظر أصادق هو أم كاذب!

الرجل : أكنت أعلم ذلك يا رسول الله؟!

النبى : ويلك.. إنك إن لم تكن تعلم ذلك إنما كان يبين عنه لسانه!!

* * *

«المسجد النبوى، وقد أتى الخبر بمعاجلة أخرى تورط فيها أحد المسلمين.. أجهز على مرداس بن نهيك الضمرى الذى لاذ بالشهادة حين تغشاه، لم يصدقه المسلم فحمل عليه على اعتقاد جازم بأنه على كفره، وأنه يداهن ويخادع!!».

النبى : (ناهرًا المسلم فى غضب شديد) قتلت رجلا يقول لا إله إلا الله؟!!

المسلم : يا رسول الله، إنما تعوذ من القتل!

النبى : كيف أنت إذا خاصمك يوم القيامة بلا إله إلا الله؟! (مكررًا فى أسى غاضب) كيف أنت إذا خاصمك يوم القيامة بلا إله إلا الله؟!!.. (مؤنبًا) أقتلت رجلاً يقول: لا إله إلا الله؟!! أقتلت رجلاً يقول: لا إله إلا الله؟!! (مكررًا) أقتلته بعدما قال: لا إله إلا الله؟!!

«المسلم يقف مبهوتًا لا يحسن حديثًا.. يتمنى أن تنشق الأرض فتبتلعه من هول ما مسه وحز فيه غضب الرسول ﷺ من صنيعه!!».

* * *

«المسجد النبوى بالمدينة.. النبى - ﷺ - فى صحابته من المهاجرين والأنصار والمسلمين.. يدخل مِقْيَس بن صُبابة، عليه جلال ووقار، وعلى سيماه حزن يغالبه وغيظ يكظمه.. ييمم شطر النبى عليه السلام..».

مقيس بن صُبابة : (يغالب توتره) يا نبى الله، قد وجدت أخى هشام ابن صُبابة قتيلاً فى بنى النجار.. جئتك يا رسول الله قبل أن يثور الشر وتسفك دماء!!

«النبى - ﷺ - يواسيه، ويكفكف عنه.. يكلف أحد الأنصار بالذهاب إلى بنى النجار.. يحمل رسالته عليه السلام إليهم..».

النبى : (للأنصارى) أقرئهم السلام، وقل لهم إن رسول الله يأمركم إن علمتم قاتل هشام بن صُبابة أن تدفعوه إلى أخيه فيقتص منه، وإن لم تعلموا له قاتلاً أن تدفعوا إليه ديته!

«يغادر الأنصارى إلى بنى النجار...»

* * *

«حى بنى النجار بالمدينة.. يأتيهم الأنصارى موفدًا إليهم من قبل النبى عليه السلام.. ينقل إليهم رسالته..».

بنو النجار : (فى رضًا) سمعًا وطاعة لرسول الله.. والله ما نعلم له قاتلا، ولكن نؤدى إليه ديته.. نعطيه عن رضًا مائة من الإبل..

* * *

«المسجد النبوى بالمدينة.. النبى عليه السلام فى صحابته ومعه مقيس بن صُبابة.. يأتى الأنصارى

برد بنى النجار.. يرتضيه مقيس، ويرضاه النبى ﷺ.. يمضى الصحابة مع مقيس ليقوموا معه على أداء واستلام الدية..».

«بعد أيام، مِقْيَس بن صُبابة فى بعض عشيرته يضربون فى الصحراء راجعين إلى مضاربهم.. يوسوس الشيطان إلى مقيس كيف يقبل الدية فى أخيه.. يحرضه الشيطان ويستفزه ويثير أشجانه وعصبيته.. تتوارد الخواطر واللواعج إلى حنايا مقيس.. يقول لنفسه.. «أى شىء صنعت؟!.. تقبل دية أخيك يكون عليك سبة القتل؟!.. تهتاج نفسه، وتركبه نار الثأر.. لا يعرف لأخيه قاتلاً، ولكن ها هو «الفهرى».. سعى بينه وبين بنى النجار فيما أمر به النبى ﷺ من دية.. يقول مقيس لنفسه وقد ركبه جنون الثأر على غير ذنب ولا بينة: «اقتل هذا الذى معك، فتكون نفس مكان نفس» فما يدرى مقيس إلا وقد علا الرجل بصخرة عظيمة فشدخ بها رأسه وأرداه قتيلاً.. ما إن يفعل فعلته، ويدرك جسامة جريرته، إلا ويرتد إلى كفره! يطير ببعيره إلى مكة ينشد فى طريق ضلاله..».

مقيس : (منشدًا) :

ثأرْتُ به فِهْرًا. وحمَّلْتُ عَقْلَه ... سَرَاة بنى النجار أربابَ فارِعِ

شَفَى النفس أن قد بات بالقاع مُسْنَدًا ... تُضَرِّجُ ثوْبيه دماءُ الأَخادِعِ

وكانت همومُ النفسِ من قَبْل قتلِه ... تُلِمُّ فتحمينى وِطاءَ المضاجِعِ

حللتُ به وتْرى، وأدركتُ ثؤرتـــى وكنت إلى الأوثـــانِ أولَ راجـــعِ
ثأرْتُ به فِهْرًا، وحمّلـــتُ عَقْلـــه سَرَاة بنى النجار أربـــابِ فـــارعِ

* * *

«المســجد النبوى بالمدينة، يتحادث المسلمون فيما ألمّ من واقعات وأهدر من دماء.. يدركون من غضب الرسول عليه السلام أن ما جرى وكان ليس من الإســلام ولا خلق ولا مبادئ ولا أحكام الدين.. قلوبهم واجفة. أكثرهم قلقًا وتوجسًــا من تورطوا فــى إهدار الدماء، لا يدرى من حســنت نواياهم هل تشــفع لهم، ولا يعرف مــن تعجلوا وأسرفوا ما هو جزاؤهم؟!.. ويترقب الناس حكم الإسلام فيمن تهدر دماؤه بغير حق أو بغير بينة..».

«النبــى عليه السلام فى تعبده وتهجده يناجى ربه، يوافيه الروح الأمين فيلقنه من كلمات رب العالمين».

جبريل : (يتلــو علــى محمــد) ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ ﴾ [سورة النساء الآيتان ٩٣، ٩٤].

(يرتفع الوحى)

«المدينة فى المحرم من العام الثالث للهجرة، وقد أتت الأنباء بأن قبائل غطفان وسُليم تتجمع فى «قرقرة الكُدْر..» أرض ملساء، مستقر للأطيار بناحية «معدن» بنى سُلَيْم قريب من الأخضية أو الأرحضية وراء سد معونة على نحو ثمانية بُرد (مسافات) من المدينة.. يقول الرواة إنهم يريدون أطراف المدينة والمسلمين!!».

«يتشاور النبى ﷺ والمسلمون.. يقر الرأى على الخروج لأخذ الطريق عليهم قبل أن يوغلوا فيما يبغون!! المسلمون يضربون فى الصحراء حتى أشرفوا على «قرقرة الكُدْر».. ينظرون فلا يرون إلا آثار النَّعم (الإبل) ومواردها، ولكن لا يجدون فى المجال أحدًا..».

«النبى ﷺ وقد أرسل نفرًا من صحابته لاستطلاع أعلى الوادى، يبادر إلى استقبالهم فى بطن الوادى.. لم يجدوا أثرًا لغطفان وسُليْم سوى آثار الأنعام، ولكنهم يلمحون غلامًا فى بعض الإبل..».

المسلمون : (للغلام) من الرجل؟

الغلام : يسار..

المسلمون : هل رأيت أحدًا فى الجوار من قبائل غطفان أو سُليْم؟

يسار : إنما أورد (أرعى) لخمس، وهذا يوم رِبْعِىّ (رعيى).. والناس قد ارتبعوا (بالإبل) إلى المياه.. وإنما نحن عُزّاب فى النَّعَم (بعيدون عن الديار)..

«يطوف المسلمون بالوادى من جوانبه، فيطمئنون إلى أن القوم قد تفرقوا إلى رؤوس الجبال وتركوا وراءهم بعض النَّعم.. يضرب المسلمون فيما حولهم ثم يقيمون ثلاثًا، يكرون بعدها عائدين إلى المدينة وقد أفاء الله تعالى عليهم من فضله، وتشتت من أرادوا بهم شرًّا، فتتسامع القبائل العربية بما كان!».

* * *

«المدينة فى ربيع أول سنة ٣ هـ.. وقد بلغ النبى - ﷺ - أن جَمْعًا من «ثَعلبة» و«محارب» بذى أَمَرّ.. قد تجمعوا يريدون أطراف رسول الله - ﷺ - على رأسهم رجل منهم يقال له دُعْثور بن الحارث بن محارب..».

«النبى عليه السلام يتشاور والمسلمون.. يجمعون أمرهم على خروج من يتصدى لهم.. يخرج عليه السلام فى نحو أربعمائة وخمسين من المسلمين، ومعهم عدة أفراس..».

«النبى عليه السلام، وقد ترك على المدينة عثمان بن عفان، يصل والمسلمون إلى «المُنَقّى»: (اسم أرضٍ بين أُحُد والمدينة).. يسلكون مضيق «الخُبَيت» (على بريد من المدينة).. ينعطفون منه إلى «ذى القَصّة» (وادٍ على أربعة وعشرين ميلاً من المدينة).. يرتادون المكان وما حوله، فيصيبون رجلاً هو «جَبّار من بنى ثعلبة»..

المسلمون : (للرجل) أين تريد؟

جبار بن ثعلبة : أنا جبار.. من بنى ثعلبة.. أريد يثرب..

صحابى : وما حاجتك بيثرب؟!

جبار : أردت أن أرتاد لنفسى وأنظر..

صحابى : هل مررت بجمع، أو بلغك خبر عن قومك؟

جبار : لا.. إلا أنــه بلغنى أن دُعثور بــن الحارث فى أناس من قومه عُزّل!

«المســلمون يصاحبــون جبــارًا إلى الرســول ﷺ..»

جبار : (للنبى) يا محمد، إنهم لن يلاقوك، وإن سمعوا بمسيرك هربــوا فى رؤوس الجبال.. وأنا ســائر معــك، ودالك على عورتهم..

«النبــى ﷺ يأنس به اســتعدادًا للهداية.. فيعــرض عليه الإســلام.. يتلو عليــه من القرآن الحكيم حتــى تفتح قلب الرجل وتغشــته أنوار الهداية.. يشــهد بأن لا إلــه إلا الله وأن محمدًا رسول الله.. يهلل المسلمون ويكبرون.. يأمر النبى ﷺ فيضمون الرجل إلى بلال بن رباح..».

«يجمع المسلمون أمرهم، يمضى أمامهم جبار دليلاً لهــم، فيأخذون معه طريقًــا يهبطون منه مــن كثيب على جمع بنــى ثعلبة ومحارب، إلا أن الأعــراب وقد أحســوا بطلائعهم، هربوا فوق الجبال وغيبوا سَرْحَهم (ماشيتهم) فى الجبال.. يتفقد المسلمون المكان فلا يجدون أحدًا.. ولكنهم

يرصدون أشباحهم من بعيد على ذرى الجبال القريبة!!».

«المسلمون يعسكرون عند ماء «ذى أمرّ».. ينظرون ماذا سوف يكون مع هؤلاء الذين تجمعوا للإغارة على المسلمين..».

«تغيم السماء، وتهطل الأمطار بغزارة شديدة حتى ابتلت ثياب الرسول ﷺ وأصحابه بللاً شديدًا.. النبى يأوى إلى شجرة ينشر عليها ثيابه ويضطجع تحتها حتى تجف.. يرقبه الأعراب من مواضعهم ببعيد، ينظرون ما يفعل.. تعبث شياطينهم بعقولهم، فيحرضون دُعْثورا بن الحارث.. سيدهم وأشجعهم، على أن يهتبل الفرصة فيغير إغارة مباغتة على النبى ﷺ لينال منه ما يتمنون!!».

بنو ثعلبة : (لدعثور) قد أمكنك محمد، وقد انفرد عن أصحابه.. لن يغيثه أحد حتى تقتله..

«دعثور يستهويه شيطانه، ويركبه الشر، فيسحب سيفه ويتقلد به.. ينزل مغيرًا كالسهم من أعلى الجبل، حتى يقف على رأس النبى ﷺ شاهرًا سيفه».

دعثور : (للنبى وسيفه مشهر) يا محمد، من يمنعك منى اليوم؟!

النبى : (فى اقتضاب ولم تفارقه سكينته).. الله..

«دعثور فى وقفته ما يحس إلا وقد ارتج عليه.. ما يدرى إلا ووكزة قد جاءته من مصدر لا

يدرى ولا يعرف كنهه، ولا رأى له علامة!!..
يتعجب دعثور مما حدث له، ومن القوة الخفية التى وكزته فطرحته وأوقعت سيفه من يده..
لا يدرى إلا وقد نهض الرسول ﷺ فتناول السيف وقام به على رأسه.. ينتظر دعثور بقلب واجف وقد عادت عليه الكرّة!!».

النبى : (لدعثور) فمن يمنعك منى اليوم؟

دعثور : (فى تسليم واجف) لا أحد..

«ينظر إليه النبى فى سلام، ولا يؤذيه..
يتعجب الرجل من هذه النفحة النبوية.. كيف لا يرتد عليه وقد مكّنه الله منه؟!!.. يقول لنفسه ما سر هذا الرجل؟! ما هذه القوة الخفية التى تجذبه إليه وتفتح قلبه له؟!.. ما يدرى دعثور إلا وقد أقبل على النبى ﷺ..».

دعثور : (للنبى) أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، والله لا أكثر عليك جمعًا أبدًا!

«النبى ﷺ يدعو له بالخير.. يناوله سيفه فى أمان بلا وجل، يأخذه دعثور ويدبر عائدًا إلى قومه، ولكنه لا يكاد يفعل حتى يرتد إلى النبى ﷺ فيقبل عليه بوجهه..».

دعثور : أما والله لأنت خير منى.

النبى : (فى وداعة وسلام) أنا أحق بذلك منك..

«ينطلق دعثور عائدًا إلى قومه.. لا يكاد من فرط ما داخَلَه يدرك حقيقة ما حدث!.. يقبل على

قومـــه بغير الوجه الذى تركهم به.. ينظرون إليه فى تعجب تسبقهم إليه نظراتهم المتسائلة..».

بعض بنى ثعلبة : ما لك؟!.. ويلك!!

«دعثور صامت واجم كأن على رأسه طيرًا!!».

بنو ثعلبة : (لائمين مؤنبين) أين ما كنت تقول، وقد أمكنك والسيف فى يدك؟!!

دعثور : كان والله ذلـك، ولكنـى لا أدرى من دفعنى فى صدرى حتى وقعت على ظهرى وطار سـيفى.. فعرفت أنه مَلك، وشـهدت بأنـــه لا إلـه إلا الله وأن محمدًا رســول الله.. (مستأنفًا) والله لا أكثر عليه جمعًا أبدًا، وإننى أدعوكم إلى الإسلام..

«النبى ﷺ، يتغشـاه الوحى، فيوحى، فيما يوحى إليه من أمر ربه».

جبريل : (يتلـو على محمد) ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [سـورة المائدة الآية ٦٧].

* * *

«المدينة، وقد عاد الرســول عليه السلام والمســلمون إلى المدينـــة دون أن يلقـوا كيدًا.. يخرج النبى – ﷺ – ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحـة وعبد الرحمـــن بن عـــوف قاصديـــن يهـود بنى النضير..».

«النبى عليه السلام وصحابته بحصون بنى النضير فى دار كعب بن الأشرف، يستعينونهم فى «عَقَل».. اليهود يداهنون فيظهرون الود والاستجابة، ويضمرون غيره.. يصممون على أن يولوا للنبى وصحابته، ويفرطون فى الترحيب..».

حيى بن أخطب : (للنبى) اجلس حتى تطعموا ونعطيك الذى تسألنا..

«النبى عليه السلام يستجيب وصحابته لهم، فيجلسون يقابلون الود الظاهر بود صادق.. لا يعرفون ماذا يخفى هؤلاء المداهنون.. يتسرب بعض اليهود تحت ذريعة إعداد الطعام فيختلون ببعضهم على مقربة يتآمرون!!».

«حيى بن أخطب منتحيًا بكعب بن الأشرف وبعض كبار يهود بنى النضير..».

حيى بن أخطب : (هامسًا لرفاقه) لا ترونه أقرب منه الآن!

أحدهم : فماذا تعنى؟

حيى بن أخطب : (محرضًا) اطرحوا عليه حجارة فاقتلوه فنستريح منه ولا ترون شرًّا أبدًا..

كعب بن الأشرف : (مُرَحبًا) مرحى مرحى.. أحسنت..

«يومئ كعب بن الأشرف إلى رحى عظيمة، يدعو رفاقه إلى حملها ليلقوها على النبى عليه السلام من عل..».

«النبى - ﷺ - فى مجلسه مع صحابته وقد ألم به هاتف الوحى يحذره حتى نهض والصحابة فغادروا بسلام دون أن يمسهم

السـوء الذى دبر لـه كعـب وحيى، ودبرت له يهود!!».

* * *

«النبـى - ﷺ - فى تعبده وتهجده، يناجى ربـه ويحمده على ما أفاء به عليه سـبحانه من رعايـة وعافية وسـلامة من كل مـا يدبر له من هـؤلاء وأولاء الذيـن يبيتـون الشـر للإسـلام، ويبغون القضاء على رسـوله الرحمـة المهداة!! يوافيـه جبريل عليه السلام فيوحى إليه من آيات رب العالمين..».

جبريل : (يتلـو علـى محمـد) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [سورة المائدة الآية ١١].

(يرتفع الوحى)

* * *